

## لم تكن نعلم مدى محدودية معرفتنا! المهرجان الدولي للأدب: عشر سنوات من المعجزة

"الحسن الحظ لا تسقط الثمرة على الأرض إلا عندما تنضج، كما يزرع القصيد على الورق بدون ضجيج، يأخذ القلم ويكتب نفسه باستمرار ثم يختفي". هذا ما قاله الشاعر السوري الراحل فؤاد رفة في دوره 2004 وهو ما يذكرنا بزحف المهرجان العالمي للأدب على برلين. لقد ظهر فجأة مثل الرؤيا التي سحرت عيون البرلينيين المدللين ثقافيا والذين لا تعوزهم التظاهرات الثقافية. كان الافتتاح سنة 2001، ممارتون من المداخلات التي تحاول أن ترسخ فيما جديده، وقد سبقت هذا لافتتاح سنوات طويلة قضاه المنظمون ومؤسسة بيتر فايس يعملون في الخفاء. لقد قرأ تشارلز سميك الكاتب الأمريكي الصربي المولد، قصيده بعنوان "تنبؤات الأثيوبيا وجيرانها" وفيها تنبأ شعرا بروح المهرجان في السنوات التي سوف تلي، فلا شيء أقل من الكونية، العواصف الرملية والشمس ستسكنان سماء برلين.

العاطفة سبقت كل شيء! من اليوم الأول كان يميز المهرجان شيء من جنون العظمة قابله نقد كثير ومربك وقد حاول مدير المهرجان أولريش شرايبر تحويل النقد إلى نجاح جماهيري. وقد طمأنه يوحنايم سارتوريوس باقتضابه المعتاد والأنيق عند افتتاحه الدورة السادسة قائلا: "تتوصل على بعض السكينة عندما تصل إلى مرحلة التسيير الذاتي" وهذا مشروط ببرمجة عالية الجودة أينما ولت وجهها تلافي النجاح. لا تبحث عن نجوم يمكن أن يملئوا المسرح بصوتهم المتناسقة. لا تبحث في سلة مهملات الكتب الأكثر مبيعا، لا تحترم قواعد التجارة ولا تبحث عن التصليق فهو يملأ حلبات الملائكة. وبالتالي تلتقي شرايبر ورفيقه في البحث عن أدب جديد.

الإبداع الحق هو الذي يتحدث عن المسكوت عنه، الأدب إلزام بقضايا الإنسان وضمير سياسي أو لا يكون. بدى الالتزام حتى في سخرية ايزابيل ألفد التي قالت عندما توجهت نحوها شرارات الألعاب النارية: "كنت دائما في صف المثقفين" وبدى في مداخلات مشحونة بقوة معنوية أتلفنا بها الكثير، منهم درفاد وكراهاسن، دايد غروسمان، كارلوس فويس أو الممثل العاشر للأمم المتحدة ساشي كارور والحقوقي الساحر أرونداتي. الالتزام جسده أيضا النقاشات السياسية القيمة في برنامج "أملات" ولكنه تجسد في كل عمل، في كل قصيدة وفي كل منبر للجمال أنته قدره اللغة على العطاء. وإذا جمعت كل هذه الجزئيات تجدها ترنوا نحو جعل الإنسانية أحسن حالا. ولم ينس المهرجان قضايا المرأة التي قالت عنها نانسي هوستن في كلمة الافتتاح سنة 2008 "المرأة أكثر تحضرا من الرجل وذلك ليس لكونها فقط قادرة نهمة للروايت... ولكن لكون هذه القراءة تجعلها ترى العالم من خلال عيون الآخرين".

إحترام الكتاب لا يكون بالصخب الزائد. بالطبع هناك أمسيات جماهيرية، يجيها مشاهير منهم من تحصل على جائزة نوبل كزبابور أوبي، نادين غونديرو دوريس ليسنج و ماريو فارغاس لوزا ومنهم من ترشح لها ككو أون وفقيه الشعر أنجر كريستيانس ينظرينها الشجاعة عن الركام التي عرضتها أمام جاكوب ماتنارز. وجيم بركين التي همست "ميمانتوس" لسارج عنزبورغ. و الإسكتلندية الجريئة آل كيندي التي نعتت نفسها في سخرية بـ "متعددة المثلية". والبرتغالي العظيم أنطونيو لوبر أنتونس الذي عنى "جوق الشعور بالذنب". ومايكل أونداتج في "مهمش". وشاعر المبالغة تشاك بلاهنيوك الذي أكد أن التدخين نوع من التعبد. والإرلندي ماثيو سويني الذي إكتفى بكأس الشمبانيا وعزف موسيقى قديمة. أحسن شيء أن يفاجئك أحدهم...أولا يمكن أن يكون شعار المهرجان "تفاجأ" أو عنوان بيان ستيفان هسل "أرفضوا، حان وقت الغضب" وكأنه يقول "التزموا، حققوا ذاتكم". المهرجان يكون أكثر إثارة عندما يدخله نجوم الغد مثل كولو مالك كان، الكسندر هيمن، تيم بركس، مونيكا ألي، كاميليا شمسي، سيد كشوه، جوناتان سرفان فور، كازيو ايشيغورو، بيتر كاري، جوناتان ليزم، نيكول كراوس، انجي كروغ، فرينديريك بيغندي، فيكرام سث، فرانك مالك كور، جاشوا فارس، خالد الخميسي أو المدافعة عن حقوق المرأة الأستونية الفنلندية البرتغالية صوفي أكسانين. كل هؤلاء كانوا هنا ومعهم آخرون أسماءهم صعبة التذكر. وليكن، من يدري ماذا سنسمع في يوم واحد من رافورت لابشارونساب، ناتاليا سنييدانكو، نيكوليتا از نكو وأكا مورشيلانس؟ فواد المهرجان نادرا ما يعودون إلى ديارهم نون الحاجة إلى فتح كتاب على الفور، فهم يحضون بالاسترخاء والشعور بالارتياح ويخرجون من الفوضى السالدة.

الآلاف من الكتب الذين وقعت دعوتهم أتوا على حسن التنظيم وكرم الضيافة مصرحين أن مهرجان برلين أحسن مهرجان أدبي في العالم. ليس من المتاح دعوة كاتب من كل القارات، لينصهروا منتجين شعرا و تأملا ليلا نهارا وجمعوا الشمس والقمر في حضرة الأدب، وكما قال عبد الرحمان أوبري وهو كاتب من جيبوتي مقيم بفرنسا "أن تكون جزءا من المهرجان يجعلك تحس أن العالم يدور في سعاده تتقاسمها أنت والحاضرون".

معجزة أخرى تتحقق فرغم ترسخ المهرجان بعد بلوغه سنته العاشرة، بقي محافظا على فوصته الساحرة التي بدأ بها. وكان فيه قوة خفية تدعوك للسفر والاكتشاف... التنظيم المتحجر لا ينفذ إذا كان السحر هو المنشود. أولم يقل نيتشه أننا "يجب أن نحافظ على الفوضى في داخلنا كي نتمكن من انجاب نجمة راقصة" وهي الفلسفة تبناها مدير المهرجان في بحثه الدائم عن الأدب البعيد والكاتب الجديد، هذا المدير الذي خاطبنا في افتتاح دوره 2008 بجملة مشحونة توأصعا "لم تكن نعلم مدى محدودية معرفتنا" مقولة صالحة لكل الدورات، فالمهرجان يبحر من سنة لأخرى عبر قارات العالم ليعلمنا ما لم تكن نعلم. لقد تمكن شرايبر على مر السنين أو النورات من إقناعنا بجهلنا لكم هائل من الأدب وبأن المهرجان فرصتنا للاكتشاف. كما حفز مجموعة من هامة من المتطوعين الذي تعودنا أن نراه في كل الدورات وبهم يريد إقناع ممولين غير تقليديين رغم عناد المحاسبين. أضحي شرايبر رجلا لا يتجاهله السياسيون ويبدو هذا من ترحيبهم به في بداية كل مهرجان. لكن الأدب في غنى عن هذه الأضواء والحلقات الراقية الأنيقة بين عليه القوم، حيث تكفي طاولة وكروسي وكوب من الماء كي نقرأ. مترجم، ممثل ومترجم يجمعهم عشق الكلمة. وتغمرهم معزوفات راقصة على آلة الأكورديون مثل "هدية من القمر" يمنحها العازف آيدار غانولين وبعض الأغاني لعازف الغيتارة الصربي الكساج فاعز وحتى رنة جرس تقطع الصمت.

بعد أربع سنوات من الترحال، بين مسرح هاو في كروزنبارغ إلى مسرح سوبنزال في ميتو. وجد المهرجان مقرا شرعيا وهو الفستيفال البرليني منذ سنة 2005. بداية شيدت سنة 1963 تجمع بين البلور والإسمنت تقع في غرب المدينة، مر بها ذات مرة بيكاتور فراي فلكسبون. والحصول على هذا المكان يعتبر ضربا حظ لأن مديره مغرم بالأدب وأيضا لأنه يمكن استعمال طابقه في نفس الوقت ليحتضن الأصوات الهامسة. زد على ذلك مقهاه الحزين الذي يدعى مجازا "مقهى نابوكوف" الذي يملأه تحد صامت صنعته ذكريات الساكنين في القمص.

ولا ننسى من فصلوا قاعة المراكز حيث تمتد الأرائك لتحضن الكتاب وفريق المهرجان ومعهم الضيوف والقادمون بدون دعوة... وهناك يدق قلب المهرجان الخفي. مكان معتق يحلو فيه احتساء النبيذ والفهوه ويمكن أن يكون مكانا مثاليا لطلب يد عروس أو قراءة قصص قصيره لن تنشر أبدا. هناك ينصب إيوت فابنبرغر "المحكمة" إلى أن تبدأ رقصه الطنغو و"المهمينة قليلا" ايزابيل أند تقدم زوجها الذي كتب للتو أفصوصة عن الجريمة... الجمال، القوة، النجاح والثروة لا يعنون شيئا هنا. لأننا نحكي بكل طبقات الأدب حيث ليست هناك ملكية خاصة إلا للسجائر والرؤى... هذه روح المهرجان العالمي للأدب. هدية رائعة لنا جميعا. عشر سنوات من المعجزة!

ككتبته زابين فوجل

نشر في "كتاب جوبيلي" لبرلينا فاست شيبيل سنة 2011.

Translation: Al Amjed ZAIER

Directeur de la maison de culture Mourouj

Tel :0021671 368 756 / 00216 22 800 537

[Kontakt](#)

[Jobs](#)

[Datenschutz](#)

[Impressum](#)

[Social-Media-Netiquette](#)

[Sitemap](#)

internationales literaturfestival berlin [ilb]  
Chausseestraße 5  
10115 Berlin

